

تفسير البحر المحيط

@ 411 أي لحم متبع ، ويتعلق بحرمانا . وتقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فحش الظلم وتقبيحاً له وتحذيراً منه . والطيبات هي ما ذكر في قوله : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْبَانٌ وَيَعْضُ الطَّيْرُ وَالْحَوْتُ ، وَأُحِلَّتْ لَهُمْ صِفَةُ الطَّيْبَاتِ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَأَوْضَحَ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ : طَيِّبَاتٌ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ . . } { وَبِصَدِّهِمْ ° عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا } أي ناساً كثيراً ، فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ، وإليه ذهب الطبري . قال : صدوا بجحدهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم (جمعاً عظيماً من الناس ، أو صد كثيراً . وقدره بعضهم زماناً كثيراً . .) { وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدَّ نُهْوًا ° عَذَابُهُ } وهذه جملة حالية تفيد تأكيد قبح فعلهم وسوء صنيعهم ، إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه . قالوا : والربا محرم في جميع الشرائع . .

{ وَأَكَلَهُمْ ° أَمْوَالَهُ النَّاسِ بِالْبِاطِلِ } أي الرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب . وفي هذه الآية فصلت أنواع الظلم الموجب لتحريم الطيبات . قيل : كانوا كلما أحدثوا ذنباً حرم عليهم بعض الطيبات ، وأهمل هنا تفصيل الطيبات ، بل ذكرت نكرة مبهمة . وفي المائدة فصل أنواع ما حرم ولم يفصل السبب . فقيل : ذلك جزيناهم ببغيهم ، وأعيدت الباء في : { وَبِصَدِّهِمْ ° } لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولاً للمعطوف عليه ، بل في العامل فيه . ولم يعد في : { وَأَخَذَهُمْ ° } وأكلهم لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه . ونظير إعادة الحرف وترك إعادته قوله : { فَبِمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ ° } الآية . وبدء في أنواع الظلم بما هو أهم ، وهو أمر الدين ، وهو الصد عن سبيل الله ، ثم بأمر الدنيا وهو ما يتعلق به الأذى في بعض المال ، ثم ارتقى إلى الأبلغ في المال الدنيوي وهو أكله بالباطل أي مجاناً لا عوض فيه . وفي ذكر هذه الآية امتنان على وجه الأمة حيث لم يعاملهم معاملة اليهود فيحرم عليهم في الدنيا الطيبات عقوبة لهم بذنوبهم . .

{ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ ° عَذَابًا * مَّهِينًا } لما ذكر عقوبة الدنيا ذكر ما أعد لهم في الآخرة . ولما كان ذلك التحريم عاماً لليهود بسبب ظلم من ظلم منهم ، فالتزمه ظالمهم وغير ظالمهم كما قال تعالى : { وَاتَّقُوا ° فِتْنَةَ لَاسٍ تُصْرِيحَنَّ ° الَّذِينَ ظَلَمُوا ° مِنْكُمْ ° خَاصَّةً } بين أن العذاب الأليم إنما أعد للكافرين منهم ، فلذلك لم يأت وأعتدنا لهم . .

